التفسير المقارن نظرات في النشأة والاستمداد

عناصر المحاضرة:

نشأة التفسير المقارن .

باعتبار العمومات:

تفسير النصوص باستصحاب الجبلة .

باعتبار الخصوص :

أولا: التفسير المقارن زمن النبوة

ثانيا: التفسير المقارن زمن الصحابة

ثالثا: التفسير المقارن زمن التابعين

رابعا: التفسير المقارن زمن التدوين

خامسا: التفسير المقارن زمن الازدهار

سادسا: التفسير المقارن زمن الركود

سابعا: التفسير المقارن زمن النهضة

ثامنا: التفسير المقارن في الزمن المعاصر

تدبيج :

لعل من المهمات في المبادئ المتعلقة بأي فن البحث عن واضعه الأول، وهو ما يعرف في أزمنتنا بالدراسة التاريخية لهذا العلم والتي تبحث ظهور ه أو ظهور ملامحه الأولى، وعلم التفسير المقارن لم يظهر إلا في العصر الحديث بإجماع الباحثين - فيما أعلم- ، لكن هل لهذا العلم من ملامح أوليَّة عبر التاريخ ؟

أولا: نشأة التفسير المقارن باعتبار العمومات:

والمراد بالعمومات هنا بيان ان القرآن جزء لا يتجزأ من منظومة الخطاب التي ترتكز أساسا على جملة من الأساطين : كالمخاطب بالفتح ، والمخاطب بالكسر- وآلية الخطاب، وبيئة الخطاب ، والقرائن المحتفة بالخطاب ...

وباعتبار أن الخطاب قديم أزلي منذ أن خاطب المولى عز وجلّ المكلفين وأخذ عليهم العهد وهم في عالم الذر، ألفينا تحقيقا أن الخطاب حاز مقاليد الكمال والجمال ولاق في المخاطَب مقارنة بمن هو دونه فورّث حنينا دوما الى معالم الكمال والجمال وترجيح ذلك على غيره تعلقا بآلية المقارنة .

تفسير النصوص باستصحاب الجبلة .

وقد نستطيع استجلاب المعاني الناهزة لبسط التفسير المقارن قبل اعتباره فنا مخصوصا بأن نجلي أن معالم هذا الفن ضرورية الوجود وان تأخر من حيث الظهور أو التسمية الاصطلاحية، إذ هو منهج حياتيٌّ انبنت عليه جملة من النّواميس الكونيّة والقوانين الخارجية التي لا يخلو منها زمان ولا مكان، بل هو مما يخلد في الأرض جملة من السنن التي أقام المولى عليها الكون كالتدافع والتداول وغيرها ...

شواهد هذا التقرير :

/1منهج المقارنة في خطاب الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة:30.

فمعلوم أن الأحكام انما تنبني على جملة من المقدمات العقلية، فلولا وجود آلية مقارنة من حيث النتائج – على اختلاف في تفسير بواعث مقول الملائكة- لما خلصت الملائكة إلى الحكم القاضي بعدم إيحاد آدم .

/2منهج المقارنة بعد خلق آدم: قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف 12 .

فالمنطق الابليسي الذي انخرمت منه المقدمة الكبرى التي تقضي ان النار خير من الطين لو لم تكن فيه مقارنة لما نتجت الأحكام، وقد يتساءل من أين لإبليس هذا المنهج؟ الجواب أنه جبلي فطري وهو من النعم التي من الله بها على الخلائق .

/3الخطاب القرآني يتوكأ على آلية المقارنة لإفهام المكلف: لما كان المراد من ايراد الخطاب القرآني البيان، جعل المولى وسائل موصلة لهذا القصد من ذلكم مسمى المقارنة أعني بهذا العملية الذهنية التي تسبق

النتائج والأحكام، فنجد الباري عز وجل يخاطب بجملة من النصوص التي لا تفهم الا بإعمال هذا المنهج :

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ فاطر 19- 22 .

من أعظم مظاهر التأمل والتدبر في القرآن الكريم منهج المقارنة لتحصيل جملة من النتائج التي قصدها الشارع الحكيم، والأنموذج السالف الذكر أعظم استدلال على هذا التقرير .

قوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ النحل 71 .

فحقيقة التفاضل في الأرزاق لا تدرك إلا بمقارنة وإن لم تكن جلية لكن حقيقتها تدرك بمسألة ذهنية تسبق التصور الكلي للمسألة .

4/ عوائد العرب: أو البيئة التي اعتبرها التشريع في التنزيل، محاكاة لأساليبها والمعهود فيها مع إعجاز أصحابها بأن يأتوا بمثل ما جاء به النبي المرسل، وجدنا تتبعا واستقراء أن العرب بفطرتهم البسيطة جبلوا على المقارنة ، بل وكانت سبب إنكار بعض العرب نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حين قالوا :" حتى إذا قالوا فينا نبي ...." ولعل مجالس

الشـــعر والشـــعراء والمقارنة بينها دليل على اعتبار هذا عند العرب ونستفرد بدليل جزئي مستغرق للمعاني التي سيقت : احتكام حسان بن ثابت والخنســاء الى شــاعر ســوق عكاظ وبســط الاســتدلالات على قوة شعر كل منهما والحكم في الأخير والترجيح مع الاستدلال .

ثانيا: نشأة التفسير المقارن باعتبار الخصوص:

والمراد بالخصوص هنا هو تخصيص خطاب القرآن الكريم باعتباره جزءا من منظومة الخطاب العامة .

أولا: التفسير المقارن زمن النبوة

اعتقد بعض الباحثين أن علم التفسير المقارن بدأت ملامحه منذ العصر الأول، عصر النبوة، من هؤلاء: - الدكتور مصطفى المشني في كتابه التفسير المقارن دراسة تأصيلية[1].

والدكتورة روضة عبد الكريم فرعون في رسالتها التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق[2].

والدكتور محمود عقيل العاني في رسالته للدكتوراه التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية.

والذي تقرر عند أهل الميزان أنّ هاته تسمى دعوى ولا بد من استجلاب الشواهد المفيدة للقطع لترتقي الى درجة التسليم لها فتصير من المسلَّمات وفيما يلي بسط لأهم الشواهد ونقدها:

أ/ شواهد الدعوى:

---

[1] التفسير المقارن دراسة تأصيلية، مصطفى المشني، مقال على مجلة الشريعة والقانون، العدد: 26، ص155

[2] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، روضة فرعون، ص 25 وما بعدها.

الحالة الأولى: إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم اجتهاد الصحابة مثاله الأثر المروي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل، قال: فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له، فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: 29] فتيممت، ثم صليت. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا"[1]

ثم يعلق قائلا:" ويلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليه الاختلاف، مما يعد إقرارا منه على جواز وقوع الاختلاف في التفسير، طالما هناك مسوغ له، وطالما كان الوصول للحق هو الغاية

الحالة الثانية: تصحيح النبي صلى الله عليه وسلم بعض تفسيرات الصحابة المبنية على اجتهاداتهم، من ذلك ما حدث بين عمار بن ياسر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في سفرهما، فعن شقيق

---

[1] مسند أحمد شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421 هـ، 2001 م، (29/ 346) رقم: 17812

قال: كنت جالسا مع أبي موسى، وعبد الله، قال: فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، أرأيت لو أن رجلا لم يجد الماء، وقد أجنب شهرا ما كان يتيمم؟ قال: لا، ولو لم يجد الماء شهرا، قال: فقال له أبو موسى: فكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة: ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: 43] ؟ قال: فقال عبد الله: لو رخص لهم في هذا، لأوشكوا إذا برد عليهم الماء أن يتيمّموا الصعيد، ثم يصلوا، قال: فقال له أبو موسى: إنما كرهتم ذا لهذا؟ قال: نعم، قال له أبو موسى: ألم تسمع لقول عمار: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة، فأجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فقال: «إنما كان يكفيك أن تقول» وضرب بيده على الأرض، ثم مسح كل واحدة منهما بصاحبتها، ثم مسح بها وجهه، لم يجز الأعمش الكفين، قال: فقال له عبد الله: ألم تر عمر لم يقنع بقول عمار. قال أبو عبد الرحمن: قال أبي: وقال أبو معاوية مرة، قال: فضرب بيديه على الأرض، ثم نفضهما، ثم ضرب بشماله على يمينه، ويمينه على شماله على الكفين، ثم مسح وجهه[1]

[1] مسند أحمد شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1421 هـ، 2001 م، (30/ 269) رقم: 18328

ثم علق قائلا: نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لعمار لماذا فعلت، ولم يؤنبه على اجتهاده بل في طريقة التصحيح إشارة إلى جواز الاجتهاد ...الخ

الحالة الثالثة: تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم إيجاد الحكم الشرعي للمسائل التي لم يجدوا لها دليلا من كتاب أو سنة [ثم ذكر قصة معاذ بن جبل رضي الله عنه] عن معاذ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن، فقال: «كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟» قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: «فإن لم يكن في كتاب الله؟» قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» قال: أجتهد رأيي، لا آلو. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري، ثم قال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[1]

الحالة الرابعة: حثه صلى الله عليه وسلم المسلمين على التعلم وتشجيعهم عليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» [2] ...الخ

---

[1] مسند أحمد مخرجا (36/ 333) رقم: 22007

[2] صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط:5، 1414هـ، 1993 م، (1/ 25) رقم: 71.

ثم ختم هذه الدعوى بقوله: "ويتضح لنا مما تقدم أننا لا يمكن أن نجعل هذا العهد طورا من أطوار التفسير وذلك لأن العهد هو عهد البيان والتشريع وليس فيه اجتهاد بالمعنى الذي نفهمه وإنما الاجتهاد فيه موقوف على إجازة المشرع له من عدمها ولكن الذي يجب علينا ذكره أن كل الأطوار التي جاءت بعد هذا العهد بنيت على هذا العهد **فيمكن أن نسمي هذا العهد قاعدة التفسير المقارن**."[1]

ب/ نقد الشواهد:

المسلمات في الاستدلال المتقدم:

1/ نسلم أن الصحابة رضوان الله عليهم اجتهدوا في تفسير بعض آي القرآن.

2/ نسلم أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر البعض على تفسيره.

3/ كما نسلم أن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في تفسير آي القرآن الكريم.

4/ نسلم أنهم كانوا يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الاختلاف فيصحح لهم ما أخطأوا فيه.

[1] ينظر التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية، للعاني، من ص 107- 115

5/ ونسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم كيف يستنبطون الأحكام من القرآن وكان يحثهم على التعلم.

الاعتراض:

لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقارن بين أقوالهم ويرجح قولا على آخر.

فعملية **المقارنة** هنا إن صحت ذهنيا تكون بين الاجتهاد الذي بادر به الصّحابي والنّبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم والصواب الذي هو الوحي .

ومن الدعائم لهذا الاعتراض أن النبي صلى الله عليه وسلم كان موئل الاستفتاء والاستقصاء فلا يستقيم أن يقارن على النحو الاصطلاحي الوحي الذي هو من عند الله بالاجتهاد البشري لعدم التجانس.

قال الدكتور إبراهيم الحميضي:" بالغ بعض الباحثين فذهبوا إلى أن بذوره وجدت في عصر النبوة، مع نشأة التفسير، ثم أخذ في التوسع في العصور اللاحقة، فجعلوا نشأته مع نشأة التفسير، واستدلوا لذلك باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في فهم القرآن الكريم، وإقرار

النبي صلى الله عليه وسلم لذلك، وتصحيحه لفهمهم حينما يخطئون ... والواقع أن التفسير المقارن لم يظهر في عصر النبوة ..."[1]

ثانيا: التفسير المقارن زمن الصحابة رضي الله عنهم

خالفنا كلا من الدكتور المشني والدكتورة روضة والدكتور العاني في كون التفسير المقارن بدأ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووافقنا الدكتور الحميضي، لكن في هذه الجزئية أعني بروز ملامح التفسير المقارن زمن الصحابة رضي الله عنهم فإننا نخالف الدكتور الحميضي في قوله:" والواقع أن التفسير المقارن لم يظهر في عصر النبوة ولا في عصر الصحابة والتابعين...الخ"[2]

يذكر الدكتور العاني بعض الشواهد على نشأة ملامح التفسير المقارن زمن الصحابة نذكر منها:

الحالة الأولى: لما استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه" قدامة بن مظعون على البحرين وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين فقال: يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر، ولقد رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه إليك فقال عمر: «من يشهد معك» قال: أبو هريرة: فدعا أبا

---

[1] مصطلح التفسير المقارن دراسة نقدية، إبراهيم بن صالح الحميضي، مقال على مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية العدد200 الجزء الأول، ص383

[2] مصطلح التفسير المقارن دراسة نقدية، إبراهيم بن صالح الحميضي ص 383.

هريرة فقال: بم أشـــهد؟ قال: لم أره يشـــرب ولكني رأيته ســـكران فقال عمر: " لقد تنطعت في الشهادة قال: ثم كتب إلى قدامة أن يقدم إليه من البحرين فقال الجارود لعمر: أقم على هذا كتاب الله عز وجل فقال عمر: «أخصم أنت أم شهيد» قال: بل شهيد قال: «فقد أديت شهادتك» قال: فقد صمت الجارود حتى غدا على عمر فقال: أقم على هذا حد الله فقال عمر: «ما أراك إلا خصما، وما شهد معك إلا رجل» فقال الجارود: إني أنشـــدك الله، فقال عمر: «لتمســـكن لســـانك أو لأســـوءنك» فقال الجارود: أما والله ما ذاك بالحق أن شرب ابن عمك وتسوءني، فقال أبو هريرة: إن كنت تشـــك في شـــهادتنا فأرســـل إلى ابنة الوليد فســـلها، وهي امرأة قدامة فأرسل عمر إلى هند ابنة الوليد ينشدها فأقامت الشهادة على زوجها فقال عمر لقدامة: «إني حادك» فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تجلدوني، فقال عمر: «لم؟» قال قدامة: قال الله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ﴾ [المائدة: 93] الآية فقال عمر: «أخطأت التأويل إنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك» قال: ثم أقبل عمر على الناس فقال: «ماذا ترون في جلد قدامة» قالوا: لا نرى أن تجلده ما كان مريضا، فسكت عن ذلك أياما وأصبح يوما وقد عزم على جلده فقال لأصحابه: «ماذا ترون في جلد قدامة» قالوا: لا نرى أن تجلده ما كان ضـــعيفا فقال عمر: «لأن يلقى الله تحت الســـياط أحب إلي من أن يلقاه، وهو في عنقي ائتوني

بسوط تام» فأمر بقدامة فجلد فغاضب عمر قدامة وهجره فحج وقدامة معه مغاضبا له، فلما قفلا من حجهما، ونزل عمر بالسقيا نام، ثم استيقظ من نومه قال: «عجلوا علي بقدامة فائتوني به فوالله إني لأرى آت أتاني» فقال: سالم قدامة فإنه أخوك فعجلوا إلي به فلما أتوه أبى أن يأتي، فأمر به عمر إن أبى إن يجروه إليه فكلمه عمر واستغفر له فكان ذلك أول صلحهما"[1]

أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن البرقي، قال: حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثنا يحيى بن فليح بن سليمان المدني، عن ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن الشراب، كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيدي، والنعال، والعصي حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا في خلافة أبي بكر أكثر منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: لو فرضنا لهم حدا فتوخى نحو ما كانوا يضربون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو بكر يجلدهم أربعين حتى توفي، ثم كان عمر بعد فجلدهم كذلك أربعين حتى أتي برجل من المهاجرين الأولين قد شرب فأمر به أن يجلد، فقال: لم تجلدني بيني وبينك كتاب الله، قال عمر: وأي كتاب الله تجد أن لا أجلدك؟ قال له: إن الله يقول في كتابه: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ

[1] مصنف عبد الرزاق الصنعاني، حبيب الرحمن الأعظمي، ت: المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:2، 1403هـ 1983م، (9/ 240) رقم:**17076**

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: 93] الآية، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شـهدت مع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بدرا، وأحدا، والخندق والمشـاهد، فقال عمر: ألا تردون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرا للماضـين وحجة على الباقين، فعذر الماضـين بـأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر وحجة على الباقين؛ لأن الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّـيْطَانِ ﴾ [المائدة: 90] الآية ثم قرأ أيضـا الآية الأخرى: فإن كان من ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصـالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسـنوا﴾ فإن الله قد نهاه أن يشـرب الخمر، فقال عمر: صـدقت فما ترون؟ فقال علي: إنه إذا شـرب سـكر وإذا سـكر هذي وإذا هذي افترى وعلى المفتري ثمانون جلدة، فأمر عمر فجلد ثمانين"[1]

خلاصة الشاهد:

[1] السن الكبرى للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط:1، 1421هـ، 2001م ، (5/ 137) رقم: 5269

الخلاف الذي وقع بين قدامة بن مظعون رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: :﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: 93]

ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بمثابة **ترجيح** تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على تفسير قدامة بن مظعون رضي الله عنه

شرب قدامة رضي الله عنه الخمر على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يعلم تحريمها من قوله تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90] لكنه رآى الآية 93 بعدها وهي قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: 93] تستثني أو تخصص من هذا الحكم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا، فيجوز عليهم شرب الخمر، ولما كان هو رضي الله عنه ممن آمنوا وعملوا الصالحات، فقد شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأى أنه يجوز له شرب الخمر.

أما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فكان له رأي آخر، فهو يرى أن الآية 93 نزلت في من مات قبل نزول آية تحريم الخمر وكان يشربها.

ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليرجح تفسير بن عباس رضي الله عنهما على تفسير قدامة بن مظعون رضي الله للآية، لما ثبت عنده من سبب نزول الآية، الذي كان دليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

أو نقول أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجح تفسيره للآية على تفسير قدامة رضي الله عنه مستندا على تفسير ابن عباس رضي الله عنهما ودليلهما سبب النزول، وأن الآية والتي سبقتها ليستا من باب العام والخاص.

بواكير التفسير المقارن:

الخلاف بين أقوال الصحابة، 2- ذكر دليل كل مفسر، 3- ترجيح الرأي الصواب، فيمكن أن نقول إن بوادر التفسير المقارن بدأت عصر الصحابة رضوان الله عليهم .

ولما كان يُكتفى لإثبات الماهية فرد واحد نكتفي بهذا الشاهد على الدعوى .

.ثالثا: التفسير المقارن زمن التابعين

تأسست المدارس الإسلامية، وتوسع التابعون في التفسير فكثُر الخلاف بينهم، مما جعلهم يناقشون أقوال بعضهم البعض ويرجحون بين أقوال الصحابة رضي الله عنهم، فكان ملح التفسير المقارن زمن التابعين أكثر ظهورا، من الشواهد على هذه الدعوى مناقشة التابعين لعدة الحامل المتوفى عنها زوجها.

عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ **[البقرة: 234]**

عدة الحامل حتى تضع حملها في قوله تعالى {وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} **[الطلاق: 4]**

اختلف في المرأة الحامل المتوفى عنها زوجها على قولين، حيث لا يوجد في حقها نص خاص.

القول الأول: إذا وضعت الحامل المتوفى عنها زوجها قبل الأربعة أشهر وعشرا حلّت، وهو قول أبي هريرة رضي الله عنه.

القول الثاني: تعتد الحامل المتوفى عنها زوجها بأبعد الأجلين وهو قول عليّ وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.[1]

[1] ينظر تفسير الطبري = جامع البيان ت: شاكر (23/ 455)

عن أبي سلمة، قال: كنت أنا، وابن عباس، وأبو هريرة فتذاكرنا: الرجل يموت عن المرأة، فتضع بعد وفاته بيسير، فقلت: إذا وضعت فقد حلت، وقال ابن عباس: أجلها آخر الأجلين، فتراجعا بذلك، فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فبعثوا كريبا مولى ابن عباس إلى أم سلمة فقالت: إن سُبيعة الأسلمية وضعت بعد وفاة زوجها بأربعين ليلة، وإن رجلا من بني عبد الدار يكنى أبا السنابل خطبها، وأخبرها أنها قد حلت فأرادت أن تتزوج غيره، فقال لها أبو السنابل: إنك لم تحلي فذكرت ذلك سُبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، «فأمرها أن تتزوج»[1]

[1] مصنف ابن أبي شيبة، ت: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية، ط:1، 1436هـ، 2015م، (3/ 553) رقم: 17094

في هذه القصة، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف من الوسطى من التابعين (ت 94هـ) هو الذي يقوم بالتفسير المقارن، حيث قارن بين تفسير أبي هريرة من جهة وعبد الله بن عباس وعلي من جهة أخرى رضي الله عنهم.

ورجح قول أبي هريرة رضي الله عنه بحديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في شأن سبعية الأسلمية.

والأمثلة كثيرة يكفي هذا الشاهد لإثبات الدعوى.

رابعا: التفسير المقارن زمن التدوين

مع نهاية القرن الأول زمن عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة 101هـ وبداية القرن الثاني الهجري بدأ التدوين في مختلف العلوم، خاصة علم الحديث والذي كان التفسير ضمن أبوابه، ثم ما لبث أن انفصل عن علم الحديث وصار علما مستقلا بذاته، ومن أوائل من ألف في التفسير محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة 146هـ ومقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة 150هـ وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة 160هـ والثوري المتوفى سنة 161هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة 198هـ، يحيى بن سلام البصري المتوفى سنة 200 هـ الطبري المتوفى سنة 310هـ وآخرون، إلا أن هذه التفاسير وإن احتوت على ذكر اختلاف المفسرين والترجيح بين أقوالهم إلا أننا لا يمكن أن نعدها من التفسير المقارن، خلافا لمن يرى

ذلك كالدكتور العاني في رسالته، ذكر ذلك تحت مطلب جهود العلماء في التفسير المقارن في عهد نشأة التصنيف.[1]

جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت310هـ)

يعد تفسير ابن جرير الطبري ت310هـ أول تفسير حوى التفسير المقارن بشكل واضح فقد كان رحمه الله يذكر أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم ثم يرجح بينها. قال الطبري موضحا منهجه : "ونحن -في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه- منشئون إن شاء الله ذلك، كتابًا مستوعِبًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا. ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه واختلافها فيما اختلفت فيه منهُ. ومُبيِّنو عِلَل كل مذهب من مذاهبهم، ومُوَضِّحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه."[2]

---

[1] ينظر التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية، العاني ص142.

[2] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (1/ 6)

خامسا: التفسير المقارن زمن الازدهار.

وهنا تجلَّت هاته الصّنعة في المدوَّنات التَّـفسيرية، وتبدت معالمها على نحو يمكن القول أن التفسـير المقـارن بلغ أوجـه وأكملـه في هـذا العصر وفيما يلي ايراد لبعض التفاسير التي اهتمت بهذا اللون من حيث إعماله وإن أهملته تسمية:

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت 542 ه)

قال عنه ابن خلدون: "فلمّا رجع النّاس إلى التّحقيق والتّمحيص وجاء أبو محمّد بن عطيّة من المتأخرين بالمغرب فلخّص تلك التّفاسـير كلّها وتحرّى ما هو أقرب إلى الصّحّة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسـن المنحى. وتبعه القرطبيّ في تلك الطّريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق.

والصّنف الآخر من التّفسير وهو ما يرجع إلى اللّسان من معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسـب المقاصـد والأسـاليب. وهذا الصّنف من التّفسير قلّ أن ينفرد عن الأوّل إذ الأوّل هو المقصود بالذّات. وإنّما جاء هذا بعد أن صار اللّسان وعلومه صناعة"[1]

البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت745ه)

[1] تاريخ ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:1،1401ه، 1981م، (1/ 555)

أشار إلى مسألة التفسير المقارن في منهجه، حيث قال :" وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، ... حاشدا فيها القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، ... ناقلا أقاويل الفقهاء الأربعة، وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني، محيلا على الدلائل التي في كتب الفقه، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو، وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس، بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ من حجا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، ... الخ"[1]

[1] البحر المحيط في التفسير (1/ 13)

سادسا: التفسير المقارن زمن الركود

يعتبر البعض المرحلة بين نهاية القرن السابع الهجري إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري عصر الركود والجمود في سائر العلوم الشرعية حيث اقتصرت على شرح كتب من سبق أو اختصارها، ثم شرح المختصرات، ثم كتابة الحواشي والتعليقات ما يسمى بعصر التقليد، إلا أن هذا الحكم غير مسلم، فإني أراه عصر شرح ما غمض من كلام الأوائل، وتنقيح التراث من الدخيل، وترسيخ المذاهب الإسلامية لحفظ بيضة الأمة، هذا وقد ظهرت في هذه الفترة تفاسير عدة بدءا بتفسير ابن كثير (ت 774هـ) الذي يعد تفسيره تفسير القرآن بالقرآن بامتياز، وكذا يصنف من ضمن التفسير بالمأثور، بل فيه ملامح التفسير المقارن واضحة جلية، تفسير ابن عرفة (ت 827هـ) تبصير الرحمن وتيسير المنان المهايمي (ت835هـ) تفسير الجلالين المحلي (ت864هـ) والسيوطي (ت911هـ) والتفسير بالمأثور له أيضا، تفسير الجواهر الحسان للثعالبي (ت875هـ) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (ت 880هـ)جامع البيان للإيجي (ت905هـ) إرشاد العقل السليم لأبي السعود الحنفي (ت950هـ) السراج المنير للخطيب الشربيني (ت974هـ) عناية القاضي وكفاية الراضي للخفاجي (ت1069هـ) روح البيان لإسماعيل حقي (ت1173هـ) فتح القدير للشوكاني (ت1255هـ). وكل هذه التفاسير لا تخلوا من ذكر أقوال المفسرين ومناقشتها والترجيح

بينها، قال الشوكاني عن منهجه:" بهذا تعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين، وهذا هو المقصد الذي وطنت نفسي عليه، والمسلك الذي عزمت على سلوكه إن شاء الله مع تعرّضي للترجيح بين التفاسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لي وجهه"[1]

[1] فتح القدير للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط:1، 1414هـ، (1/ 14)

سابعا: التفسير المقارن زمن النهضة

ظهرت مجموعة من التفاسير حملت في طياتها التفسير المقارن نذكر منها :

فتح البيان في مقاصد القرآن القنوجي (ت1307هـ)

محاسن التأويل جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ)

تفسير المنار محمد رشيد رضا (ت1350هـ)

تفسير المراغي (ت1371هـ)

تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ت 1379هـ)

في ظلال القرآن لسيد قطب (ت1387هـ)

التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي (ت1393هـ)

تنبيه :

كل هذه التفاسير ليست من التفسير المقارن إنما هي تفاسير تضمنت التفسير المقارن في بعض المواضع، فلا يمكن تصنيفها على أنها من التفسير المقارن.

ثامنا: التفسير المقارن في الزمن المعاصر

انقدح في أذهان بعض الباحثين المعاصرين ما يسمى بالتفسير المقارن، وكان أول من أشار إليه الكومي كما رأينا في المحاضرة السابقة، في دراسته التفسير الموضوعي[19] إلا أنه لا يزال في مرحلة التنظير والتأصيل، أما تطبيقاته فلا تتعدى بعض المحاولات في بعض الدراسات كما هي الحال في دراسة روضة فرعون للفظ (العالمين) من سورة الفاتحة وكذا ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ من نفس السورة، دراسة تطبيقية.

وعليه فيمكن أن نمايز بين صنوين من مناهج التأليف في التفسير المقارن:

التفسير المقارن الجزئي: ولا يعدو أن يكون أحد حالين:

الأول: يكون باستغراق جزئيات من التفسير بالمنهج كاملا أعني بذلك عرض الأقوال وبسط الاستدلال والترجيح انتهاء أو الجمع .

الثاني: إعمال منهج المقارنة مع إغفال الخطوات المتتابعة وفي الختام تحصيل النتائج مع تغييب المراحل كاملة.

المقارن التام: ويكون باتباع الخطوات السالفة الذكر وبيان النتائج دون إغفال مرحلة من المراحل التي تبدت أساطين المنهج المقارن.

---

[19] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، الكومي، ص17.